المقدس وقال: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبديّة، وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٥٤)، أي أنعم عليه بالحياة الأبدية مخلّصاً إياه من الموت الأبدي.

أجل لقد مات المسيح عنّا على الصليب وأمات الموت بموته، ودُفن في القبر الجديد، وقام في اليوم الثالث من بين الأموات بقوته الذاتية منتصراً، ووهبنا الغلبة على الشيطان والموت والخطية، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «فدُفنّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة» (أي الحياة الجديدة) (رو٦: ٤). فإن كل ما نحتاج إليه لنستحق الحياة بالمسيح أن نموت معه على الصليب، والرسول بولس يقيم لنا من نفسه مثالاً في هذا المضمار فيقول: «مع المسيح صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن اللّه الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، فهذه هي إرادة الرب يسوع أن يكرّر حياته، حياة الطهر والنقاء والقداسة ونكران الذات، على الأرض في كل المؤمنين به إذ يحيا فيهم، وحياة المسيح فينا تلزمنا أن نترجم إيماننا بالمسيح في هذه الحياة الدنيا، الأمر الذي يعبّر عنه الرسول بولس قائلاً: «فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح» (في١: ٢٧)، وهذا العيش يقتضي معرفة تعاليم الإنجيل المقدس بالمواظبة على التأمل بتعاليم الرب يسوع وتدبيره الإلهي في الجسد المدوّنة في الإنجيل المقدس، ومعرفة إرادته الإلهية وحفظ وصاياه وأحكامه المقدسة من صوم وصلاة وتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين ولإتمام ذلك علينا أن نسأل أنفسنا في كل عمل نقوم به وقرار نتخذه فيما يخص حياتنا الروحية والجسدية لو كان المسيح في موضعنا ماذا كان يفعل؟ وعلينا أن نفعل بمقتضى مشيئته، وبذلك نتأكد بأن الرب يسوع المسيح حقاً يحيا فينا، ونثبت فيه ليثبت فينا، فنحبّه من كل قلبنا، ومن كل نفسنا ومن كل فكرنا، ونحب قريبنا كنفسنا (مت٢٢: ٣٧ ـ ٣٩)، ونلتزم بالقاعدة الذهبية التي وضعها الرب يسوع لنا بقوله: «فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم» (مت٧: ١٢).

أجل لقد نزل الرب يسوع من السماء وجاء إلى عالمنا لتكون لنا الحياة وليكون لنا أفضل، وأعلن لنا أنه هو الطريق والحق والحياة، فعلينا أن نسلك في الطريق التي نهجها لنا، ونؤمن ونتمسك بالحقائق الإيمانية التي أعطانا إياها ولئن فاقت إدراك عقولنا البشرية، كما أنه أعلن لنا أنه الراعي الصالح والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف (يو١٠: ١١). ولقد بذل حقاً نفسه عنّا وفدانا بدمه الكريم الثمين، فما أسعدنا أن يكون الرب راعينا فهو يعتني بنا ويربضنا في مراعٍ خضر ويوردنا إلى جداول المياه الحيّة، ويحرسنا حراسة قوية لئلا تفترسنا الذئاب الشرسة الخاطفة التي تمثّل إبليس وجنوده والبشر الأشرار، ولينادي كل واحد منّا بإيمان متين قائلاً مع صاحب المزامير داود: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء... أيضاً إذا سرت في وادي ظلِّ الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي» (مز٢٣: ١و٤)، فهو عمانوئيل الذي تفسيره اللّه معنا.

أيها الأحباء: إن الصوم الأربعيني خير فرصة ننتهزها للتوبة والعودة إليه تعالى نادمين على ما اقترفناه من الذنوب والخطايا التي صارت فاصلة بيننا وبين إلهنا، وحجبت رحمته عنّا، فلنتب ولنواظب على الصلاة وتوزيع الصدقات على الفقراء والمعوزين، لينعم علينا الرب بالرحمة ويغفر ذنوبنا، ويلبسنا الحلّة الأولى، ويجعل في يد كل واحد منّا خاتم العهد كما فعل الأب الحنون بابنه الشاطر الذي عاد إليه تائباً (لو١٥: ١١ ـ ٣٢)، وهكذا عندما نتوب توبة صادقة يعيد إلينا ربنا حلّة البر والقداسة لنكون في عداد أغنامه الناطقة التي تعرف صوته وتتبعه، فهو الراعي الصالح الذي يعرف رعيته بأسمائها ويصونها، ويفتش عن الخروف الضال، فيجده ويحمله على منكبيه ويأتي به إلى حظيرة الخراف «فيكون فرح قدّام ملائكة اللّه بخاطئ واحد يتوب» (لو١٥: ١٠).

تقبّل الله صومكم وصلواتكم وصدقاتكم وتوبتكم النصوح، وأهّلكم للاحتفال بعيد قيامته من بين الأموات بطهر وقداسة ويرحم موتاكم المؤمنين، ܘܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ ܘܫܪܟܐ.

صدر عن قلايتنا البطريركية في دمشق ـ سوريا
في الخامس والعشرين من شهر شباط عام ألفين وخمسة للميلاد
وهي السنة الخامسة والعشرون لبطريركيتنا
وهي بنعمة اللّه سنة يوبيلنا البطريركي الفضي